الصلاة في رسائل القدّيس بولس

الأب أسعد جوهر
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

المقدّمة

لا يقدّم القدّيس بولس في أيّ رسالة من رسائله تعليمًا منهجيًّا عن الصلاة، ومع هذا لا تخلو رسائله من أنواع الصلاة وأشكالها.

كانت عادة بولس، التي ورثها بدون شكّ من التقليد الرسائليّ في عصره، أن يبدأ رسائله بعنوان وتحيّة ثمّ يتبعها بصلاة خاصّة: صلاة مستوحاة جوهريًّا من التفكير في الذين يكتب إليهم ومن ظروف كتابة الرسائل. يقدّم لنا القدّيس بولس، إلى جانب إشارات صغيرة إلى الصلاة، ثلاثة أنواع منها وهي: صلاة الطلب، والشكر، والتمجيد. فدراسة هذه الصلوات المبعثرة تسمح لنا بأن نستشفّ بعض مفاهيم الصلاة البولسيّة وبعض سماتها.

يكتب بولس إلى كنيسة تسالونكي، وهي أولى رسائله، قائلاً: «بغير انقطاع صلّوا، في كلّ شيء اشكروا» (١ تس ٥: ١٧–١٨). ويؤكّد على هذه الوصيّة، بإعلانٍ يكشف عن أهمّيّة الموضوع: «فهذه مشيئة الله إليكم في المسيح يسوع» (١ تس ٥: ١٨). وهكذا منذ أن أصبح أهل تسالونيكي تلاميذ الربّ يسوع، أضحوا مُقامين وثابتين «في المسيح». فَهُم هدف إرادة إلهيّة تتضمّن صلاة متواصلة. ويطلب إليهم أن: «صلّوا أيضًا من أجلنا أيّها الأخوة» (٥: ٢٥)؛ ويطلب من الرومانيّين: «كونوا على الصلاة مواظبين» (١٢: ١٢)؛ ومن

جماعة أفسس: «بكلّ صلاة وضراعة صلّوا كلّ وقت في الروح، وكونوا لهذا ساهرين، مواظبين كلّ المواظبة» (٦: ١٨).

يعتبر القدّيس بولس أنّ الصلاة عمل مهمّ، فيقول في ١ تم ٢: ١: «إذًا فأطلبُ قبل كلّ شيء أن تُقام ضراعات، وطلبات، وأفعال شكر، من أجل جميع الناس». ويتمنّى «أن يصلّي الرجال في كلّ مكان» (١ تم ٢: ٨). ويوصي الأرامل اللواتي هنّ «حقًا أرامل» ويدعوهنّ إلى «الصلاة طويلاً، في كلّ وقت، ليل نهار»، (١ تم ٥: ٥).

ومن ناحيته هو، فيُعلن أنّه، هو نفسه، يصلّي دائمًا.

أمّا القدّيس بولس فهو يُعلن أنّه، هو نفسه، يصلّي دائمًا. ويكشف عن فحوى صلاته وينوّه بأنّها كثيرة: يصلّي مردّدًا هذه العبارة «دائمًا» أو «على الدوام»، غالبًا، في بداية رسائله (١ تس١: ٢). ويزيد على أنّه يصلّي «بلا انقطاع» (١تس٢: ١٣)، وأحيانًا يستعمل ظرفي الزمان هذين معًا كما جاء في رو ١: ٩ و١٠: «يشهد عليّ الله... كيف أذكّركم بغير انقطاع ضارعًا في صلواتي على الدوام».

الصلاة التي يتكلّم عنها القدّيس بولس في رسائله والتي يمارسها تفترض عدّة مواقف وعدّة أشكال؛ فهو يطلب أن «تُقام ضراعات، وصلوات، وطلبات، وأفعال شكر» (١ تم ٢: ١). فاستعمال العبارتين «ضراعات» و«صلوات» معًا وعدّة مرّات تكشف عن اختلاف في السلوك والتصرّف لدى المصلّي. فالأرملة الحقّة «تواظب على الضراعات والصلوات ليل نهار» (١ تم ٥: ٥). ويطلب إلى كنيسة فيلبّي: «لتُعرَف طلباتكم أمام الله بالصلاة والضراعة مصحوبتَين بشكران» (فل ٤: ٦). تُعدِّد الآية الأخيرة ثلاثة انواع مختلفة. يبدو أنّ النوعين الأوّلين متشابهان تقريبًا، فيكون بولس بذلك قد اختصر الصلاة في شكلَين معروفَين قبله في التقليد البيبليّ: صلاة الضراعة أو الطلب وصلاة الشكران.

١ – صلاة الطلب والضراعة

يعتبر القدّيس بولس أنّ صلوات الطلب عند المسيحيّين هي أمرّ بديهيّ، وهو نفسه يقوم «بصلوات من أجل» كنيسة فيلبي (١: ٤). ويبدو أنّ هذه الطريقة، صلاة الطلب، هي الشكل العفويّ في صلواته. كما أنّه يعتبر أنّ الأمرّ الآخر، البديهيّ والشرعيّ، هو أن يصلّي المسيحيّون من أجله. أَلَم يتضرّع هو شخصيًّا إلى الربّ كي يبعد الشوكة عنه؟ (٢ كو ١٢: ٨). وطلب إلى مؤمني تسالونيكي أن «صلّوا أيضًا من أجلنا، أيّها الأخوة»، جاعلاً من نفسه ومن الرسولَين اللذين يصحبانه، سلوانس وطيموتاوس، مستفيدِين من صلاة الجماعة والتي يجب أن تطال كثيرين غيرهم.

يطلب الرسول في ٢ تس٣: ١ : «وبعد، أيّها الأخوة، فصلّوا من أجلنا». ثمّ يتابع قوله «لكي ينجّينا الله من الناس الضالّين الأشرار». وفي رسالته إلى فيلمون آ ٢٢ يؤكّد بولس على أنّه بفضل صلوات المسيحيّين الذين يتضرّعون إلى الله من أجله، يُحرَّر قريبًا من السجن ويعود إلى الجماعة.

أمّا الصلاة التي يطلبها الرسول من المسيحيّين في ١ تم ٢: ٢–٤ فهي شاملة، تتوجّه إلى الله «من أجل جميع الناس»؛ ثمّ يعود فيخصّص بعضهم، «من أجل الملوك، وذوي المناصب جميعًا». الغاية الأولى من الطلبة الأخيرة، ليست ارتداد الحكّام إلى الإيمان المسيحيّ، بل العيش في ظلّ ذلك النظام بهدوء واحترام وسلام، حتّى تقضي الجماعة «حياة مطمئنّة وهادئة، بكلّ شرف وتقوى». وشرح الرسول : «أنّ ذلك لحسن ومقبول أمام الله مخلّصنا، الذي يريد أن يخلّص جميع الناس، ويُقبِلوا إلى معرفة الحقّ» (١ تم ٢: ٣–٤). هذا الأمر يفترض أنّ المسيحيّين في صلواتهم يُسَمّون رؤوساءهم السياسيّين ولا يخافون أن يطلبوا منهم، «حياة مطمئنّة وهادئة». وفي الرسالة إلى الرومانيّين ٨: ٢٧ يتكلّم بولس عن الشفاعة من أجل القدّيسين أي من أجل أعضاء

الكنيسة. وكذلك الرسالة إلى أفسس تقول : أنّه يجب أن «نضرع من أجل جميع القدّيسين» (٦: ١٨).

يعلّم بولس أنّ كنيسة فيلبّي تصلّي من أجله، وهو في الوقت الحاضر سجين في السلاسل متألّم (١: ١٢–١٨). ولكنّه يدرك تمامًا أنّ : «كلّ الضيقات ستُفضي به إلى الخلاص، بفضل صلاة مؤمني فيلبّي» (١: ١٩). هكذا صلاة المسيحيّين هي قادرة أن تعضُد رسل المسيح وتساعد على خلاصهم. والخلاص المقصود هنا ليس فقط تحرير بولس من السجن، بل أكثر من ذلك كما يوحي بذلك ما تبقّى من الفصل في آ ٢٠–٣٠، حيث الخلاص يعني الفداء والخلاص النهيويّ. في الحقيقة هذه الصلاة تفعل فعلها «بمعونة يسوع المسيح» (فل ١ : ١٩).

صلاة الطلب كما يفهمها القدّيس بولس تسعى غالبًا إلى خير سام: نجاح البشارة. وإذا ما طلب بولس أن يصلّي المؤمنون إلى الله من أجله، فذلك من أجل تتميم عمله الرسوليّ بشكل أفضل؛ كما تشير إلى ذلك فيل ١: ١٩ : «بفضل ضراعتكم هذه الأحداث ستؤول إلى خلاصي»... «حسبي أن يُبشَّر بالمسيح، على كلّ حال» (١: ١٨). وتقول ٢ تس ١:٣–٣ : «وبعد أيّها الأخوة ، صلّوا من أجلنا، لكي تنتشر كلمة الربّ وتتمجّد كما هي عندكم، ولكي ننجو من الناس الضالّين الأشرار... لكنّ الربّ أمين، وهو يثبّتكم ويحفظكم من الشرّير». إذًا فالخيور التي يمكن أن تنتظرها جماعات الرسول بولس من الله الأمين هي: فعاليّة التبشير الرسوليّ، وتحرير بولس من أجل الإنجيل، وتثبيت إيمان المسيحيّين. لذا عليهم أن يطلبوا إلى الله، بثقة كبيرة، كي «يثبّتهم ويحفظهم من الشرّير».

الرسالة إلى أف ٣: ١٤–١٩ تعكس ما كان يطلب بولس في صلاته حين «جثا على ركبتيه للآب»: نموّ المسيحيّين الذي يعمله «الروح»، نموّ يتحقّق بسكنى المسيح في قلوب المؤمنين، وازدهار في الإيمان، وفي المحبّة، وفي المعرفة «لكي يمتلئوا حتّى ملء الله كلّه». وفي رو ١٥: ٣٠ يطلب بولس إلى

المسيحيّين أن يُصلّوا من أجله حتّى «ينجو في اليهوديّة من الكافرين»، وحتّى «تكون خدمته في أورشليم مقبولة لدى القدّيسين»، وهكذا يستطيع أن «يأتي إلى روما مسرورًا ويستريح بعض الشيء» مع المسيحيّين في هذه الكنيسة.

فبينما يصلّي الرسول بولس من أجل هذه النيّات المختلفة، سيناضل المسيحيّون معه، فيتحمّلون بشكل فعّال قسطًا يشاركونه فيه، في نضاله الرسوليّ، هو صلاتهم لكي يؤمّنوا له النجاح. الصورة ذاتها تتكرّر في كول ٤: ١٢ حيث: «ابفراس،... وهو عبد للمسيح يسوع يجاهد دومًا بالصلوات من أجلكم، لكي تثبتوا كاملين وموقنين ملء اليقين في كلّ ما يشاء الله». بالفعل يعتبر بولس أنّ كلّ عمله الرسوليّ هو مثل نضالٍ صعب، وهو يعلن إلى أهل قولسّي: «إنّي أريد أن تعلموا أيّ جهاد أعاني من أجلكم» (٢: ١). وفي أفسس يقود المسيحيّون نضالاً صعبًا. لذلك عليهم أن يتسلّحوا ويتهيّأوا له (٦: ١٨). أسلحتهم الضروريّة اللازمة هي الاستعداد الرسوليّ في الحقّ والبرّ والإيمان (أف ٦: ١٠–١٥). والأشدّ ضرورة أيضًا، هو «سيف الروح الذي هو كلام الله» (٦: ١٧). ومن ثمّ الصلاة كلّ وقت في الروح، صلاة مؤلّفة حسب كولسّي (٣: ١٦) من «أناشيد روحيّة»، «صلاة في الروح» (أف ٦: ١٨)، أي يلهمها الروح. صلاة تسعف المبشّر الرسوليّ في «إعلان سرّ الإنجيل» (أف ٦: ١٩).

القدّيس بولس يعلن، حتّى يُبرِّر صلاة الطلب، مبدأ يدعو إلى الدهشة، وهو: «حتّى تُعرف طلباتكم أمام الله أو احتياجاتكم» (فل ٤: ٦). يخلع بولس على الله، بطريقة جريئة، صفاتٍ بشريّةً فيقول «حتّى تُعرف لدى الله» في صلاة الطلب الحاجات البشريّة. وهذه الصفات تترجم المعنى الواقعيّ لصلاة الطلب، حيث الإنجيل نفسه يبدو قريبًا من هذا المعنى. فأمثال لوقا عن الصلاة (١١: ٥–١٣ و١٨: ١–٨) موسومة بصراحة تتّفق مع البساطة النبويّة التي فيها يجب أن تقام كلّ صلاة منذ يسوع. تلميذ يسوع يضرع إلى الله، بثقة كبيرة، عالمًا أنّ قدرة الله عظيمة وهي تفوق محتوى الطلب. والرسالة إلى أفسس

تؤكّد على ذلك: «والله القادر أن يعمل وفق قدرته العاملة فينا ما يفوق كلّ شيء، أكثر وأبعد ممّا نسأل أو نتصوّر» (٣: ٢٠).

٢ – صلاة الشكر

يؤكّد القدّيس بولس أنّ صلاة الشكر مرتبطة بشكل وثيق بصلاة الطلب، ويجب حتمًا أن تتعلّق بها: «في كلّ شيء فلتُعرَف طلباتكم أمام الله، بالصلاة والدعاء مع الشكران» (فل ٤: ٦). يقدّم الرسول بولس نصيحة غير منتظرة، فعندما يقع المؤمن نفسه في حاجة، عليه أن يقوم، قبل الأوان، أي قبل صلاة الطلب، بفعل شكران يرتبط بطريقة ملائمة معها.

هذه النصيحة –صلاة الطلب مصحوبة بفعل الشكران– تراعي التقليد البيبليّ المألوف في المزامير. فصلوات المزامير ليس فيها ضراعة لا يتبعها، بشكل أو بآخر، شكر لله أو تمجيد أو انفتاح عليه. أمّا في النصوص حيث الرسول بولس يصف سير صلاته فالحركة عكسيّة. فهو يبدأ بصلاة شكر طويلة وينتهي بصلاة طلب. بذلك يلتقي الرسول مع هيكليّة بعض المزامير، وعلى سبيل المثال المزمور ١٢٦: «حين ردّ الربّ أسرى صهيون، كنّا كالحالمين، حينئذٍ امتلأت أفواهنا ضحكًا وألسنتنا ترنيمًا. إنّ الربّ عظّم الصنيع إلينا!... أردِد يا ربّ أسرانا» (٢–٤). ولكن إذا كان فعل الشكران يأتي أوّلاً في تصميم صلاة بولس، ربّما هذا، لأنّ فعل الشكران يمثّل المقام الأوّل في تفكيره. فقد كتب إلى تسالونيكي قائلاً: « صلّوا بغير انقطاع، اشكروا في كلّ شيء» (١ تس ٥: ١٦).

يشدّد القدّيس بولس على الخيرات ولا سيّما النِعم الإلهيّة، التي سبق فاختبر حقيقتها في حياته وفي حياة أصدقائه. وهذه الخيرات والنِعم هي موضوع شكره في الصلاة، كما هي، أيضًا، موضوع شكر في صلاة الجماعة. والأمر البديهيّ المنظور اليوميّ لهذه البركات هو الطعام، ومن الطبيعيّ أن يُصار إلى صلاة شكران تُعطيه معنى جديدًا. لدرجة أنّه، إذا اشترك أحد المسيحيّين في

ذبيحة وثنيّة، وعلى قدر ما يشكر فلا يوبَّخ (١ كو ١٠: ٣٠ ؛ رو ١٤: ٦). و«كلّ طعام نؤدّي عنه الشكر لله هو مسموح»، «لأنّ كلّ ما خلقه الله حسن، ولا شيء مرذول إن أُخذ بشكر، لأنّه يُقدَّس بكلمة من الله ودعاء» (١ تم ٤: ٣–٥).

خلال الطعام قام يسوع بعمل مميّز مصحوب بصلاة كانت «فعل شكران» (١ كو ١١: ٢٤). ودعا تلاميذه أن يحفظوا هذه الذكرى، وهم بدورهم، احتفلوا بما سمّوه بـ«عشاء الربّ» (١١: ٢٠). وكانوا يُصلّون كما صلّى هو أوّلاً : «كأس البركة التي نبارك، أوليست اشتراكًا في دمّ المسيح؟ الخبز الذي نكسر، أو ليس اشتراكًا في جسد المسيح؟» (١٠: ١٦).

يشدّد الرسول بولس على أنّ كلّ شيء هو مدعاة لفعل شكران جماعيّ. فيقول في كولسّي: «كلّ ما تأتون من قول أو فعل، فليكن كلّ شيء باسم الربّ يسوع، شاكرين به الله الآب» (٣: ١٧). وحتّى لا يغفل أيّة مناسبة أو يترك أيّة حجّة أو عذر «لفعل الشكر»، فعلى أهل قولسّي «أن يسهروا شاكرين» (٤: ٢).

بدون شكّ، مَثَل من بين عدّة أمثال يستدعي الشكر، هو العطاء حيث يبرهن الأخوة عن كرمهم بعضهم تجاه بعض. هكذا وجد «قدّيسو أورشليم» في المساعدات التي استلموها من جماعة كورنتس، مناسبة لأفعال شكر عديدة (٢ كو ٩: ١١–١٢).

واحد من الأعمال المعبِّرة في الاجتماعات هو صلاة أحد الأعضاء، إذ يقول بصوتٍ عالٍ واضح «فعل شكران» مُعبِّرًا عن شعوره بالعرفان بالجميل تجاه أحداث حاليّة أو ماضية، أو تجاه ذكرى إحدى المبادرات الإلهيّة القريبة أو البعيدة. أمام هذا الإعلان في الصلاة تضمّ الجماعة في كورنتس صوتها إلى فعل الشكران هذا، بكلمة «آمين» الليتورجيّة والتي تعبّر عن اشتراك الجماعة في صلاة الفرد (١ كو ١٤: ١٦).

يرتبط فعل الشكران بعطيّة الله. والقدّيس بولس يعرف جود الله وسخاءه؛ وحتّى لا نعدّد كلّ شيء يكفي أن نذكّر الرسالة إلى الرومانيّين التي تتأمّل حول

«محبّة الله التي أُفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وُهِبَ لنا» (رو ٥: ٥). والمائدة الإفخارستيّة تذكّر الجميع أنّ هذه العطيّة أوصى بها يسوع « الذي أُسلِمَ « من أجل البشر (١ كو ١١: ٢٣).

فالقدّيس بولس يرغب إذًا إلى كلّ إنسان، مهما كان وضعه صعبًا، أن يترك مكانًا لفعل الشكر. مهما عَظُمَت الصعوبات واشتدّت المآسي في الحياة فلا تستطيع أن تُخفي الجود الإلهيّ في شخص يسوع المسيح. من أجل هذا الجود، الذي «لا وصف له» (٢ كو ٩: ١٥). لا يمكن إلاّ أن نؤدّي، في كلّ سانحة، أفعال شكر لله. لذا «اشكروا على الدوام» (١ تس ٥: ١٦).

٣ – صلاة التمجيد

تتحلّى الصلاة الجماعيّة بميّزات متعدّدة، غالبًا لا تدلّ عليها المفردات بوضوح. يستعمل بولس ومعاصروه بعض تعابير شبه مترادفة. فالاحتفال بـ«عشاء الربّ» يُسمّى «فعل شكر» في ١ كو ١١: ٢٤، و«بركة» في ١ كو ١٠: ١٦. عندما يعلن الرسول بولس توجيهاته إلى كنيسة قورنتس حول الصلاة يكتب، أنّ عليهم تباعًا «أن يصلّوا، ويرنّموا، ويباركوا»، وبعد ذلك يتكلّم عن الإفخارستيّا، أي فعل الشكران. وهذا الفعل يتردّد ثلاث مرّات في آخر المقطع ويدلّ على الميزة التي تتّصف بها الصلاة البولسيّة: فهي على العموم «فعل شكر» (١ كو ١٤: ١٤–١٨). لا تتوقّف صلاة بولس عن الرجوع والعودة إلى إحدى هذه الأعمال التي بها قدّم الله للبشر عطيّة، عنها، يرفعون له أفعال الشكر.

ومع ذلك ففي رو ١: ٢١ يختزل بولس كلّ مسيرة الإنسان التي تقوده إلى الله بفعلين: «مَجَّد وشَكَر»: وإذا ما ضمّت هاتان الكلمتان إلى التعداد السابق فهي توحي أنّه في قلب الصلاة الجماعيّة، هناك صلاة موسومة، بعض الأوقات، بميزة خاصّة.

إذًا فالإنسان الُمصَلّي، المنكبّ حتّى الآن على أن يعبّر عن إعجابه وذهوله أمام العمل المحقَّق وأمام صانعه، في فعل شكر وبركة، يوجّه من أكثر إلى أكثر نظره إلى صورة الله التي تظهر في عمله، فتصبح عندها الصلاة «تمجيدًا».

بعدما أدّى «قدّيسو أورشليم» جزيل «الشكر لله» من أجل الهبات التي استلموها من كنيسة كورنتس، رفعوا آيات «التمجيد لله»، منبع ومصدر «طاعة» جماعة كورنتس في «إعلان إنجيل المسيح»، ومصدر الكرَم الذي حرّك الحسّ الجماعيّ، «ومشاركتهم لهم ولجميع القدّيسين» (٢ كو ٩: ١٣).

وأيضًا يتوجّه نظر الرسول بولس إلى الله الذي يبغي بولس أن يؤدّي له التمجيد: «فإنّ ما لا يرى من الله» تدركه العقول منذ الآن فصاعدًا (رو ١: ٢٠)، «إله الثبات... قادر أن يُنجِز ما وعد به» (رو ٤: ٢١)؛ إله التعزيّة...أبو ربّنا يسوع المسيح...إله الرحمة» (رو ١٥: ٥ و٩)، «أبو المراحم وإله كلّ تعزية» (٢ كو ١: ٣). الله «عمق الغنى والحكمة والمعرفة! ما أبعد أحكامه عن الإدراك وطرقه عن الاستقصاء! فمن عرف فكر الربّ؟ أو من صار له مشيرًا؟ أو من أقرضه شيئًا فيردّه الله إليه؟ لأنّ كلّ شيء منه وبه وإليه. له المجد إلى الدهور.آمين» (رو ١١: ٣٣–٣٦).

٤ – سمات في صلاة القدّيس بولس

أ– صلاة نابعة من العمل الرسوليّ

إنّ صلاة القدّيس بولس تنبع من العمل الرسوليّ، من أخبار الجماعات، من مشاريعه الرسوليّة، مّما يسمّيه هو نفسه: «ما عليّ من الأعباء كلّ يوم، والاهتمام بجميع الكنائس». ثمّ يعود فيحدّد قائلاً: «من يضعف ولا أضعف أنا؟ من يزلّ ولا أحترق أنا؟» (٢ كو ١١: ٢٨–٢٩). ويكمّل متوجّهًا إلى الجماعة ذاتها بقوله: «من أجل هذا أيضًا نصلّي أن تتكمّلوا»! (٢ كو ١٣: ٩). وفي فل ١: ٩–١١ يشفع الرسول حتّى تنمو محبّة الجماعة وتزداد. لقد اختصر مونلوبو في

كتابه «القدّيس بولس والصلاة» هذه الميزة بقوله: «حين يصلّي رسول الأمم، فمن أجل الكنائس هو يصلّي؛ من أجلها يضرع «وهو منكبّ على الصلاة ليل نهار» (١ تس ٣: ١٠).

لا يكتفي القدّيس بولس أن يصلّي من أجل الجماعة، بل أيضًا يصلّي معها. فإنّ ذِكرَهم (١ تس ١: ٢؛ فل ١: ٣؛ رو ١: ٩؛ ف ٤) يملأ صلاته، وحتّى إنّه «يكوّنها». حول هذا الموضوع، يوجد بين عطف بولس على المسيحيّين والشعور بمسؤوليّته الرسوليّة علاقة وثيقة. لقد اضطُرَّ على ترك تسالونيكي غير مرتاح البال فهي كنيسة ناشئة ومضطهَدة. ولمّا أتاه تيموتاوس يحمل إليه الأخبار الطيّبة (١ تس ٣: ١–٨)، امتلأ فرحًا وعبّر عن تلهّفه وشكر الله قائلاً: «فأيّ شكر نستطيع أن نؤدّي إلى الله من أجلكم، عن كلّ الفرح الذي نفرحه بكم، في حضرة إلهنا، ونحن مكبّون على الصلاة ليل نهار، لكي نرى وجهكم، ونصلح نقص إيمانكم» (١ تس ٣: ٩–١٠).

إذًا فذكريات بولس ومشاريعه تأخذ شكل صلاة وكلام موجّه إلى الآب، لأنّ التبشير لا يتلخّص في مشروع بشريّ؛ بل يُقرّ علانية بمبادرة الله، الذي وحده قادر أن يُثمّر في المؤمن البشرى: «أنا غرست، وأبولوس سقى، ولكنّ الله هو الذي ينمي» (١ كو ٣: ٦). في هذا المضمار، التوجّه إلى الآب مهمّ جدًا، لأنّ بولس يتّخذ الله «شاهدًا» على صدق صلاته (رج فل ١: ٨؛ رو ١: ٩)، كما يصرّح، مُشهِّدًا الله عليه، في ثلاثة نصوص أخرى (١ تس ٢: ٥ و١٠؛ ٢ كو ١: ٢٣) تتكلّم عن اعتراضات حول أصالة مسلكه الرسوليّ. هذا ما يدلّ على الرابط القويّ بين التبشير والصلاة.

تتوخّى الصلاة تطبيق الإنجيل الكامل حيث الحاضر ليس إلاّ تطبيقًا جزئيًا محدودًا. فالرسول قد اختبر قدرة الإنجيل في عمل كلمة الله التي غيّرت كيانه. وفي هذا المعنى يلجأ إلى تعبير «الاقتداء»، فهو يطلب إلى المؤمنين أن يقتدوا به كما هو يقتدي بالمسيح (١ تس ١: ٦؛ ٢: ١٤؛ ١ كو ٤: ١٦؛ فل ٣: ١٧). فالتبشير هو بمثابة اختبار مشترك بين من يبشّر بالكلمة ومن يقبلها.

ب – صلاة مشتركة

صلاة القدّيس بولس هي صلاة مشتركة. يوجد في رسائله أربع نصوص قصيرة تحثّ على الصلاة بشكل عامّ (١ تس ٥: ١٦–١٨؛ ١ كو ٧: ٥؛ فل ٤: ٤–٧؛ رو ١٢: ١٢–١٤)؛ ونصوص أخرى عديدة تدعو المؤمنين إلى الصلاة من أجله، فهو يدعو الكنائس إلى مشاركة حقيقيّة في عمله التبشيريّ (١ تس٥: ٢٥؛ فل ١: ١٩؛ ف ٢٢؛ ٢ كو ١: ١١؛ رو ١٥: ٣٠–٣٢؛ كول ٤: ٣–٤؛ أف ٦: ١٩–٢٠؛ ٢ تس٣: ١–٢).

يدعو بولس المؤمنين إلى الصلاة وفعل الشكر حتّى يكتشفوا إرادة الله، لا سيّما في اجتماعاتهم حيث يظهر الروح القدس، من خلال الأنبياء المسيحيّين (١ تس٥: ١٦–٢٢). ثُمّ عاد فزاد صلاة بركة، توجّه مصير الجماعة نحو هدفها الأخير: «قدّسكم إله السلام نفسه تقديسًا تامًّا، وحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم حفظًا تامًّا، بغير لوم، آن مجيء ربّنا يسوع المسيح. إنّ من دعاكم لأمين فسيفعل» (آ ٢٣–٢٤).

بعد أن دعا مؤمنيه إلى الصلاة، وبعد أن صلّى من أجلهم، صار باستطاعته الآن أن يطلب منهم الصلاة لأجله حين يجتمعون. يتوجّه إليهم فيدعوهم إخوته، وذلك تأكيدًا على علاقة أخويّة صادقة لأنّه، في الوقت ذاته، يُشير إلى عمل ليتورجيّ يدلّ على هذه الأخوّة: «سلّموا على جميع الأخوة بقبلة مقدّسة» (آ ٢٦). يبدو أنّ نيّة الصلاة من أجله غير واضحة، ولكنّه أودعهم مصاعبه الخاصّة: ما قاساه في فيلبّي وغيرها، الاضطهادات التي يقاسونها هم أيضًا (١ تس ٢: ٢ و ١٤–١٦)، والمصاعب التي واجهها في كورنتس (٢: ١٨؛ ٣: ٧)، والتي منعته حتّى الساعة من أن يأتي إليهم. فإذا ما أخذ أهل تسالونيكي على عاتقهم مهمّة الصلاة من أجله يُدركون أنّ الإنجيل ليس لهم وحدهم بل يجب أن ينتشر في أصقاع أخرى. وهكذا في صلاتهم يشتركون في رسالة بولس، وهو بدوره يتقوّى بهم.

في نهاية صلاة البركة ٢ كو ١: ١٠–١١ يوضح بولس أهمّيّة الصلاة وقت المصاعب بقوله: «الله الذي نجّانا من مثل هذا الموت وسينجّي، هو الذي رجوناه: سينجّي أيضًا! وإنّكم لمعاونونا بضراعتكم من أجلنا، لكي تكون الموهبة، التي أوتيناها بفضل كثيرين، فعل شكر من أجلنا يقوم به كثيرون».

فالصلاة التي يطلبها الرسول من الكنائس تتعلّق بالمستقبل حيث الضيقات يمكن أن تتكرّر. وهي تهدف إلى تقويّة الوحدة والانصهار من أجل إعلان الإنجيل. هذه الوحدة تظهر في صلاة الكنائس بعضها من أجل بعض. وإذا ما تمّم أهل كورنتس الإعانات التي بدأها بولس من أجل مسيحيّي أورشليم، فهؤلاء بدورهم لا يستطيعون إلاّ أن يؤدّوا فعل الشكر ويصلّوا من أجل المحسنين كما جاء في ٢ كو ٩: ١٢–١٥.

فل ١: ١٢–٢٦ تكشف وضعًا مأساويًّا: بولس في الحبس ومحاكمته قد بدأت وهو قلق حول قرار المحكمة. ظهوره في المحكمة أعطى الإنجيل دعاية غير متوقّعة، غير منتظرة. ممّا نشّط المسيحيّين على التبشير في جوّ من التنافس. فغيرة البعض أرادت أن تسدّ الفراغ الذي حدث في غياب الرسول، واغتنم الآخرون فرصة غيابه لتثبيت مواهبهم. أمّا بالنسبة للقدّيس بولس فالمهمّ أن يُبشّر بالإنجيل ثمّ يستطرد قائلاً: «فأنا أعلم أنّ هذا سيفضي بي إلى الخلاص، بضراعتكم ومعونة يسوع المسيح، على حسب توقّعي ورجائي، أنّي لن أُخيّب في شيء، بل بكلّ جرأة، الآن وكما كان على الدوام، سيُعظّم المسيح في جسدي، بحياة أو موت» (فل ١: ١٩–٢٠). هذه التأكيدات إن دلّت على شيء، فهي تدلّ على لا مبالاة من قبل الرسول بالنسبة إلى المستقبل. المهمّ هو أن يُمجِّد بولس السجين في مصيره المسيح، إمّا بتحريره وإمّا باستشهاده. فالصلاة التي يطلبها من فيلبّي حتّى يعضده الروح القدس ويعطيه القوّة لكي يتقبّل الوضع مهما كان. من جهة يعبّر الرسول عن رغبته وسعادته في أن ينحلّ ويتّحد بالمسيح قريبًا، ومن جهة أخرى تملي عليه دعوته أن يلازم جميع الذين يهتمّ بهم. وهذا عنصر مُقرِّر: «وإنّي لواثق بهذا، أعلم أنّي سأبقى وأقيم في القرب منكم جميعًا، لنموّكم في الإيمان وفرحكم» (آ ٢٥).

على أهل فيلبّي أن يحكموا بفضل صلاتهم، ما هو الأفضل لخير الإنجيل: استشهاد الرسول أم عودته إليهم.

هذه المفاضلة تُلمح إليها نهاية الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي. الصلاة المشتركة بين مُعلن البشارة والذين يقبلونها تشكّل فعل امتحان يتعلّق بمستقبل الإنجيل: «كلّ شيء امتحنوا، بالحسن احتفظوا» (آ ٢١). فجميع المواهب خاضعة لحكم الجماعة المؤمنة، مقياسها وغايتها بنيان الجماعة. أمّا الاحتفاظ بالحسن فهو النتيجة الإيجابيّة لحكم الكنيسة على ذوي المواهب الروحيّة. وإذا كان جوهر الإنجيل «كلمة الصليب» (١ كو ١: ١٨)، ففي الضيقات تجد جماعة الصلاة هذه مصدر امتحانها.

فإذا كانت هذه الدعوات إلى الصلاة فيها دراية واضحة، فالتحريض في نهاية الرسالة إلى الرومانيّين يتّسم بطابع احتفاليّ ويحدّد موضوع الطلبات المطلوبة: «أطلب إليكم، أيّها الأخوة، بربّنا يسوع المسيح، ومحبّة الرّوح، أن تجاهدوا معي في الصلوات إلى الله من أجلي، لكي أنجوَ في اليهوديّة مِنَ الكافرين، وتكون خدمتي في أورشليم مقبولة لدى القدّيسين، ومتى قَدِمتُ إليكُم بمشيءة الله في فرح، أستريح معكم أجمعين! آمين» (رو ١٥: ٣٠–٣٣).

الخدمة هنا ليست سوى الإعانات التي جمعها بولس من الكنائس اليونانيّة من أجل «قدّيسي» أورشليم، مسيحيّي الكنيسة الأمّ الذين هم في العوز. ولكن بدأ يعتريه خوفٌ «وأعلم أنّي، حين أقدَمُ إليكم، أقدَمُ بملء بركة المسيح» (آ ٢٩). فإذا ما أتى بولس إلى روما هذا يعني أنّ الإعانة خُتمت بفرح تبشيرًا مباركًا من المسيح، وإلاّ فهناك خوف حقيقيّ لأنّه يطلب إلى مسيحيّي روما أن يُصلّوا من أجله، وأن يجاهدوا معه في الصلوات، لأنّه يخاف خطرين: خطركافري اليهوديّة وخطر رفض الإعانة من قِبَل «قدّيسي» أورشليم. هذه التساؤلات تُظهر الرابط الوثيق بين عمل الرسول والصلاة وطلب الشفاعة من أجله.

وحتّى يشجّع قارئيه في روما على الضراعة، يلجأ الرسول إلى سلطتَين هما: «ربّنا يسوع المسيح» و«محبّة الروح» (١٥: ٣٠). من الأولى يستمدّ بولس السلطة حتّى يطلب إلى المؤمنين العون. والثانية هي محبّة الله الساكنة في قلوب المؤمنين بالروح (رو ٥: ٥). هذا الروح الذي يوحي الصلاة الحقيقيّة لتتوافق مع مقاصد الله (رو ٨: ٢٦–٢٧). يبدأ بولس رسالته إلى روما بفعل شكر وشفاعة من أجل كنيسة روما ويُنهيها وهو يحرّضهم أن يصلّوا من أجله.

إذًا فصلوات بولس تتعلّق كلّها بالإنجيل. أفعال الشكر تتمحّور حول الإنجيل الذي ينتشر في الجماعات البشريّة فيغيّر الناس والعلاقات بين المؤمنين. أمّا صلوات الطلب فتتطلّع إلى مستقبل الإنجيل وازدهاره في قلوب المرتدّين. ويضاف إلى ذلك الدعوات التي يطلقها إلى الكنائس لتصلّي من أجله. وإذا كان على الجماعة أن تصلّي وتشفع من أجله لدى الله وتهتمّ بمضايق الرسول، خادم «كلمة الصليب»؛ كلّ ذلك من أجل الامتحان والتمييز المتعلّقين بمستقبل الإنجيل في هذا العالم. في صلاتهم من أجل القدّيس بولس، يعترف المؤمنون لله بفائدتهم في زرع الكلمة ونموّها. وبالصلاة يصبح اهتمام الرسول بالكنائس اهتمامَ كلّ كنيسة بسائر الكنائس الموجودة والتي ستولد. في هذا التدبير في الصلاة يصبح تحقيق الإنجيل عمل الجميع.

ج – جهاد ومواظبة في الصلاة

حين يطلب بولس إلى الرومانيّين الصلاة من أجله (١٥: ٣٠)، فهو يحرّضهم أن «يجاهدوا معه». فهو يشدّد على العمل الرسوليّ وعلى مضايقه والجهاد في سبيله (١ تس ٢: ٢؛ فل ١: ٣٠؛ ١ كو ٩: ٢٦–٢٧؛ غل ٢: ٢؛ فل ٣: ١٢–١٤). في هذا المضمار يشدّد بولس على الجهاد «معه»: فصلاة الرومانيّين هي مشاركة فعليّة في الجهاد الرسوليّ البولسيّ.

وهل الجهاد هنا يعني أيضًا مواجهة بين المصلّي والله؟ أي كما جرى مع يعقوب على معبر اليبّوق (تك ٣٢: ٣٢–٣٢). هذه المواجهة ليست غريبة عن

التقليد البيبليّ اليهوديّ. فشفاعة إبراهيم من أجل سادوم وعاموره هي أفضل مثال في العهد القديم (تك ١٨: ١٧–٣٢). كما أنّها ليست غريبة عن الأناجيل ولا سيّما لوقا الذي جعل من صلاة يسوع في بستان الزيتون نزاعًا أي صراعًا بين ألم موته ومشيءة الآب (لو ٢٢: ٤١–٤٤). وهو أيضًا لوقا الذي يدعو في الصلاة، في مَثَل الأرملة التي تزعج القاضي الظالم، إلى الإلحاح واللجاجة (لو ١٨: ١–٨). لم يكن بولس غريبًا عن هذا الشكل من المواجهة والجهاد يوم أراد أن يتخلّص من «الشوكة في جسده»: «لذلك طلبت إلى الربّ ثلاث مرّات أن يفارقني. فقال لي: « تكفيك نعمتي! لأنّ قوّتي في الضعف تكتمل» (٢ كو ١٢: ٧–٩). المرّات الثلاث هي علامة الإلحاح في الصلاة، مثلما صلّى يسوع في جتسماني على ثلاث دفعات (مت ١٦: ٣٩، ٤٢، ٤٤).

يعتبر بولس صلاته والصلاة التي يطلبها من مراسليه، وهي جهاد معه، صراعًا مع الله. فيها يتدرّب المصلّي على تصويب إرادته على إرادة الله.

تشدّد الرسائل على الالتزام الذي تفرضه الصلاة. بولس يشكر ويضرع «على الدوام» أو «بدون انقطاع» (١ تس ١: ٢؛ ٢: ١٣؛ رو ١: ٩) و«في كلّ وقت» (١ تس ١: ٢؛ ١ كو ١: ٤؛ فل١: ٤؛ ف ٤؛ رو ١: ١٠). ولكي يتحقّق مشروع زيارته إلى تسالونيكي يسأل الصلاة «ليل نهار» (١ تس ٣: ١٠). تحريضه يتّصف أيضًا بالإلحاح واللجاجة: «صلّوا ولا تملّوا» (١ تس ٥: ١٧)؛ «كونوا مواظبين على الصلاة» (رو ١٢: ١٢). يبدو أنّ الرسول في التشديد على الإلحاح والمواظبة على الصلاة لا يقصد فقط الصلوات المعروفة والمفروضة بل صلاة القلب واندفاعه بشكل عفوي نحو الله والتعبير عن هذا الإندفاع. وهذا ما تؤكّده الرسائل. فحين يعلن عن قلقه حول خلاص إسرائيل، يذكر: «بغية قلبي وتضرّعي» (رو ١٠: ١)، وحين يصلّي من أجل كنيسة تسالونيكي فـ «بإلحاح كبير» (١ تس ٣: ١٠)، أمّا أفعال الشكر من الذين يتلقّون المساعدات فتترافق بـ «مشاعر حارّة» (٢ كو ٩: ١٤).

د – صلاة موجّهة إلى الآب

في الرسائل كلّ الصلوات تتوجّه إلى الآب، فقط صلاة واحدة في ١ تم ١: ١٢ تتوجّه إلى الابن: «إنّي لأشكر المسيح يسوع ربّنا الذي قوّاني». وفي ١ تس ١: ٣ يحيّي الرسول الفضائل الإلهيّة عند المؤمنين والتي مصدرها «ربّنا يسوع المسيح»، أمّا الشكر فهو في «حضرة الله أبينا». ويقول في ١ كو ١: ٤: « أشكر إلهي على الدوام من أجلكم، على نعمة الله التي وهبت لكم في المسيح يسوع»، أو يبارك «إله ربّنا يسوع المسيح وأباه» (٢ كو ١: ٣). وفي افتتاحيّة فعل الشكر والصلاة في رو ١: ٨ يقول: «أشكر إلهي بيسوع المسيح». غنى هذا التعبير كما هو أيضًا في فيلبّي ١: ٣ وفيل ٤، يدلّ على علاقات بولس في الصلاة. نصٌّ فريد يمكن اعتباره صلاة موجّهة ليسوع، ولكنّه يتحاشى استعمال كلمة صلاة فيقول: «لذلك طلبت parakalo إلى الربّ ثلاث مرّات أن يفارقني، فقال لي: « تكفيك نعمتي! لأنّ قوّتي في الضعف تكتمل» (٢ كو ١٢: ٨–٩).

إن دلّت هذه التعابير على شيء فهي تدلّ على عمق الصلاة. فعندما يعلن عن الصلاة «في حضرة الله» يدلّ على الاحترام الذي ورثه من التقليد المجمعيّ الذي يفضّل القول: الصلاة «أمام الله» بدل «الصلاة لله». وعندما يدعو «الله أبانا» يتّحد بإيمان مع كلّ المسيحيّين الذين بفضل الإنجيل اكتشفوا في الله «أبا ربّنا يسوع المسيح». وعندما يقول «إلهي» يعود إلى الاختبار الحميم والفريد على طريق دمشق حيث دعاه الله شخصيًّا لخدمة الإنجيل بين الأمم.

يدعو بولس المسيح في صلاته في صيغة الغائب وفق تعابير مختلفة. فإذا شكر الله فـ«بالمسيح يسوع»، وذلك ليس فقط بفضل ما حقّق ويحقّق للبشريّة في سرّ الصليب وبشارة الإنجيل، بل، وبدون شك أيضًا لأنّ المسيح اليوم هو الوسيط في الصلاة «إنّ المسيح يسوع الذي مات، بل أُقيم، وهو أيضًا عن يمين الله، هو يشفع لنا!» (رو ٨: ٣٤).

فالصلاة التي علّمها يسوع لتلاميذه تتوجّه أيضًا إلى الآب «وأنتم صلّوا هكذا: أبانا الذي في السماوات». فالصلاة الربيّة تدخلنا في علاقة مع الله فريدة. تعطي المصلّي أن يشترك في إيمان يسوع بأبيه، وأن يشارك في رجاء يسوع المُستجاب في القيامة والذي، بدون انقطاع، يمتدّ بفضل إعلان الإنجيل ويلخّص في هذه الصرخة: «ليأتِ ملكوتك! لتكن مشيءتك!» (مت ٦: ٩–١٠). فالصلاة التي تسعى لتحقّق ملكوت الله ومشيءته تتعلّق بعمل المسيحيّ النبويّ المتّحد بالمسيح.

٥- الصلاة والروح

من عيش القدّيس بولس في الصلاة واقترحاته حولها نستطيع أن نستخلص عقيدة متطوّرة تصل إلى حدّ تحديد العلاقة ما بين الصلاة والروح. حتّى نصل إلى هذه النقطة النهائيّة، علينا أن نتذكّر المطلب البولسيّ حول شكلَي الصلاة المفضَّلَين: الطلب والشكران، وهو أن تبقى الصلاة دائمًا حاضرة في الحياة وملازمة لها. إنّه لمن السهل أن نفهم ديمومة صلاة الطلب. فأمام أيّ صعوبة يوميّة في الحياة ومهما كان نوعها فمن الطبيعيّ أن يقابلها طلب دائم إلى الله للمساعدة.

ولكن إنّه لمن الصعب القبول بديمومة صلاة الشكران. ولكنّنا نعلم أنّ القدّيس بولس واضح وقاطع: «في كلّ شيء فلتُعرَف طلباتكم امام الله بالصلاة والدعاء مع الشكران» (فل ٤: ٦)؛ «في كلّ شيء اشكروا» (١ تس ٥: ١٨). فدوام الشكران مرتبط بالإيمان في استمرار الهبات الإلهيّة. ومرتبط أيضًا في دوام الصلاة في الحياة اليوميّة. فالقدّيس بولس «يصلّي في كلّ وقت... دائمًا» ويريد أن يفعل المسيحيّون كذلك.

تأكيدات بولس القاطعة تترك القارئ اليوم في حيرة؛ فهو يعتبر أنّه من غير الممكن التوفيق بين نزعة الرسول المطلقة من جهة، وصعوبة الصلاة العاديّة من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة عدم إمكانيّة تأمين صلاة دائمة واعية.

وعلى السؤال الذي يطرحه البعض «كيف يستطيع القدّيس بولس أن يصلّي على الدوام ليل نهار؟» فلا يكفي الجواب على أنّ هذه التعابير المتَّسِمة بالغلوّ هي مألوفة في أدب ما بعد المنفى كما في الأدب الربّينيّ. فالقدّيس بولس لايصف نفسيّة تلميذ يسوع أثناء الصلاة ولكن يخبرنا عن ماهيّة صلاة هذا التلميذ، عن جوهر الصلاة. فالصلاة هي قبل كلّ شيء مرتبطة بحدث: فالمسيحيّ يعيش في كلّ آن وزمان في حضرة الله؛ كونه ابن الله فهو بعلاقة مع سرّ الثالوث، وقد صار خليقة جديدة، صار حياة جديدة غيّرت كيانه كلّيًّا. فالصلاة الحقيقيّة لا تخضع لحدود الجسد، الذي هو غالبًا مُنهَك وضعيف يغلبه النعاس... بل هي «الحياة المُستترة مع المسيح في الله» (كول ٣: ٣)، وهي التي تصنع تلميذ الربّ يسوع. لذلك فهو يشكر في الوقت الذي فيه يطلب ويتضرّع. وهي تربطه مباشرة بعلاقة مع الروح القدس.

ففي رسالة بولس إلى أهل فيلبّي، ضراعة المسيحيّين يعضدها عمل الروح؛ والاثنان يهدفان إلى النتيجة ذاتها، ففعاليّة الصلاة يضمنها عمل الروح. النتيجة مضمونة: خلاص بولس وفعاليّة عمله الرسوليّ. «فأنا أعلم أنّ هذا سيفضي بي إلى الخلاص، بضراعتكم ومعونة روح يسوع المسيح» (١: ١٩). هكذا حضور الروح القدس يضمن، لصالح بولس، فعاليّة الصلاة التي قدّمها تلاميذه.

علاقة الصلاة بالروح هنا كانت خارجيّة بينما في نصوص أخرى فعمل الروح القدس يفعل في حركة الصلاة نفسها. ففي ١ كو ١٢–١٤ ينعم الأنبياء بعطيّة الروح القدس، أي بـ«موهبة النبوءة»، فيرفعون آيات الشكر لله باسم الجماعة. موهبة الصلاة هي ثمر عطيّة الروح، وهي أكثر من أن تكون كلامًا بشريًّا، فهي سعي نحو الله الذي يبعث في قلب الجماعة صرخة الإيمان والتمجيد: «يسوع المسيح هو الربّ».

ويؤكّد بولس على ذلك في ١ كو ٢: ١٢–١٣: «ونحن فما روح العالم أخذنا، بل الروح الذي من الله، حتّى نعرف ما أنعم به الله علينا من المواهب،

بها ننطق لا بكلمات تعلّمها حكمة بشريّة، بل بكلمات يعلّمها الروح، معبّرين أمورًا روحيّة بكلمات روحيّة».

ويطلب بولس في أف ٦: ١٨ أن «يبعث الروح القدس» في قلوب المؤمنين «الصلوات على أنواعها».

يبقى نصّ رومانيّين هو الأهمّ بدون منازع للتعبير عن علاقة الروح القدس بالصلاة المسيحيّة. فيقدّم الروح كشفيع ووسيط بين المؤمن الغارق في مشاكله التي فيها تصطدم صلاته، وبين الله الذي ينتظر من المؤمن أن يكلّمه: «كذلك يُنجِد الروح ضعفنا، لأنّا لا نعلم كما ينبغي ماذا نصلّي. لكنّ الروح عينه يشفع لنا بأنّات لا وصف لها... وهو أنّه يشفع وفق الله للقدّيسين» (رو ٨: ١٤–١٦ و٢٦–٢٧).

شفاعة الروح القدس تعمل في عمق أعماق قلب المؤمن المصلّي. فالروح يعمل فينا إذ «به نصرخ: أبّا، أيّها الآب!» أو أنّه يبعث في القلب «أنّات لا توصف»؛ تعابير جريئة تؤكّد وتعترف بأنّنا بفعل الروح القدس اصبحنا «أولاد الله».

و – الصلاة ومحبّة القريب

في مقطع التحريض والإرشادات الخاصّة بالجماعة المسيحيّة في علاقاتها الأخويّة المتبادلة في رو ١٢: ١٢–١٥، يدعو الرسول بولس إلى المواظبة على الصلاة، ضمن لائحة من الإرشادات تعالج نواحي من متطلّبات الحياة المسيحيّة. فعلى المسيحيّ أن يعيش في محبّة أخويّة صادقة متبادلة وفي عبادة للربّ حارّة. فالصلاة هي عنصر من مجموعة عناصر حيث محبّة القريب تحتلّ القسم الأكبر. موقف العبادة الحقيقيّة لله يُعبِّر عنه هذا النصّ برجاء سعيد، وثبات عميق يتركان لله أن يدين كلّ نزاع مع القريب، كما يُعبِّر عنه أيضًا بصلاة دائمة.

إذًا فـ«عبادة الربّ» التي تتضمّن بالتحديد «المواظبة على الصلاة»، تتضمّن أيضًا محبّة القريب. هذا ما يلمح إليه ضمنيًّا موقع الصلاة الموجودة ضمن

لائحة حيث كلّ عنصر فيها يفترض العناصرالأخرى. فتعداد بولس في هذه اللائحة ليس إلاّ شرحًا لوصيّة يسوع حيث يلتقي حبّ الله وحبّ القريب (مر ١٢: ٢٨–٣٤).

ز – نبوءة وصلاة

يتمّم الأنبياء خدمتهم، حسب التقليد اليهوديّ القديم، ليس فقط بالتبشير، بل أيضًا بالشفاعة من أجل الشعب والصلاة المُلهَمة من الروح الذي يوحي لهم معنى التاريخ. ففي أفعال الشكران وصلوات الطلب يدين بولس بالكثير إلى هذا البعد النبويّ اليهوديّ.

يدعو الرسول المؤمنين إلى أن يشتركوا في ميزة النبوة، في الصلاة بعضهم من أجل بعض وأن يشجّعوا بعضهم بعضًا، وأن يصبحوا هكذا أنبياء بعضهم لبعض. وبالفعل هذا النوع من النبوة هو الموهبة الأهمّ حسب ١ كو ١٢–١٤. هذه الموهبة هي أهمّ من التكلّم بالألسن، لأنّها تكلّم الناس بما فيه «بناء وتعزية وتشجيع» (١ كو ١٤: ٣). وهي تفترض إلهامًا معروفًا، ولكنّه يخضع لحكم الجماعة والأنبياء والآخرين (١ كو ١٤: ٢٩–٣٠). فإطار العمل النبويّ في كورنتس هو الاجتماع الليتورجيّ الذي فيه يريد بولس من المسؤولين ألاّ يتكلّموا إلى الله وحسب، في ألسن غريبة، بل أيضًا إلى الناس. إذًا هناك صلاة نبويّة تتوجّه إلى الله وتجتهد في أن تكشف إرادته وتفتّش عن صلاحها هي، في حكم الاخوة والاخوات الذين على ضوء الإنجيل يضعون حياتهم اليوميّة ومعنى مستقبلهم تحت نور الكتاب المقدّس. خضع بولس لهذا الامتحان الروحيّ كرسول ونبيّ وقدّم لقرّائه حسابًا عن صلواته.

الخاتمة

بولس هو، قبل كلّ شيء، «رسول المسيح» (١ تس ٢: ٧). وحياته تختصر بهذا التعبير : «إعلان الإنجيل». وصلاته هي صلاة رسول المسيح الذي لا

يهتمّ فقط بألاّ «يجعل أيّ عائق لإنجيل المسيح»، ولكنّه «عبّد نفسه للجميع... وفعل كلّ شيء في سبيل الإنجيل».

لقد جعل القدّيس بولس نفسه في خدمة الجماعات التي قبلت الكلمة، وهذه الجماعات التي أسّسها اصبحت هي مركز الثقل في حياته وتفكيره وعمله. فجاءت صلاته مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بها ومشبعة من أحوالها وأوضاعها، وبالتالي كانت صلاته صلاة رسوليّة.

فحين يصلّي الرسول بولس فمن أجل الكنائس هو يصلّي، من أجلها يضرع «ليل نهار، وبدون انقطاع» (١ تس ١: ٢). ويصلّي أيضًا وخصوصًا معها، فـ«ذِكرُهم» يملأ صلاته لا بل يكوّنها. فإذا ما وصلته شهادة عن حيويّة هذه الكنيسة أو تلك، أو قدّم له أحد مرافقيه تقريرًا جيّدًا عنها أو مقبولاً، فيكتب حتّى يهنّئ ويشجّع أو حتّى يؤنّب، وفي كلاّ الحالين، فالصلاة لها دورها الأساس في هذه العلاقة. الصلاة هي الفرصة السانحة حيث «يتذكّر في حضرة إلهنا وأبينا» تلاميذه فيمتلئ فرحًا.

والصلاة عند بولس هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، فعل شكران يعبّر به بولس عن عرفانه بالجميل عن الحقائق المسيحيّة التي نالها وصار خادمًا لها. صلاته تعبّر في جوهرها عن الشكر والتمجيد على سرّ الإنجيل. صلاته تعجّب واندهاش أمام «جري كلمة الله وتمجيدها» وقبولها بين المؤمنين. يدرك بولس جيّدًا أنّ الله الذي يرفع له الشكر والتمجيد والضراعة يهب بلا حساب.

صلاة بولس هي ضراعة وغالبًا فعل شكران لله الآب بالربّ يسوع المسيح في الروح القدس. وموضوعها المفضّل هو نموّ البشارة، هو نموّ الإنجيل، أوّلاً في قلوب المؤمنين، رغم المشاكل العديدة ورغم الصعوبات؛ وثانيًا، من خلالهم وبواسطتهم، نموّ البشارة ونموّ الإنجيل، في العالم أجمع.